

مِنْخَائِيل نَغِيمَ

هَمْسُ الْجُفُونِ



نوفل

١٠٠

هَمْسُ الْجُفُونِ

الرسوم الداخلية بريشة ميخائيل نعيمة ما عدا الرسم
المواجه ص ٢٦ فهو بريشة جبران خليل جبران

مِنْخَا ئِيلْ نَغِيمَه

هَمْسُ الْجُفُونِ

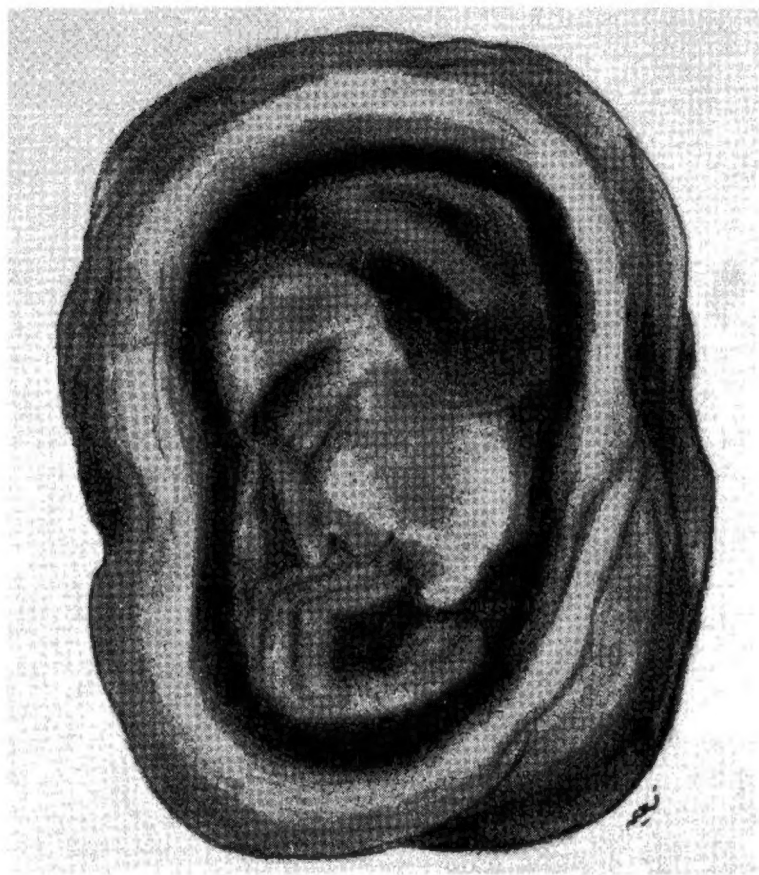


جميع الحقوق محفوظة للمؤلف والناشر
الطبعة السادسة
٢٠٠٤

٩٩ شارع الصوراتي • بيروت • لبنان • فاكس ٣٥٤٣٩٤ (٠١)
تلفون ٣٥٤٨٩٨ (٠١) ٧٤٦١٣٠ (٠١) ٤٩٩٠٧٤ (٠١)

E-mail: Naufalgroup @ terra. net . lb





اغْمِضْ جُفُونَكَ تُبْصِرْ

إذا سَمَاؤُكَ يَوْمًا	تَحَجَّجْتَ بِالْغُيُومِ
أَغْمِضْ جُفُونَكَ تُبْصِرْ	خَلْفَ الْغُيُومِ نَجْمُ
وَالْأَرْضُ حَوْلَكَ إِمَّا	تَوْشَّحَتْ بِالثَّلُوجِ
أَغْمِضْ جُفُونَكَ تُبْصِرْ	تَحْتَ الثَّلُوجِ مَرْجُ
وإنَّ بُلِيَّتَ بَدَاءٍ	وَقِيلَ دَاءٌ عِيَاءُ
أَغْمِضْ جُفُونَكَ تُبْصِرْ	فِي الدَّاءِ كُلِّ الدَّوَاءِ
وعندما الموتُ يَدْنُو	وَاللَّحْدُ يَفْغُرُ فَاهُ
أَغْمِضْ جُفُونَكَ تُبْصِرْ	فِي اللَّحْدِ مَهْدَ الْحَيَاهُ

١٩٢٤

النَّهْرُ الْمُتَجَمِّدُ

يا نهْرُ ، هل نَضَبَتْ مياهُك فانقطعتَ عن الخَرِيرِ؟
أَمْ قد هَرِمْتَ وخار عِزُّكَ فانشَيْتَ عن المَسِيرِ؟
بِالْأَمْسِ كُنْتَ مَرْنُماً بَيْنَ الحِداثِ وَالزَّهْوِ
تَتَلَوُ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَحَادِيثَ الدَّهْوِ
بِالْأَمْسِ كُنْتَ تَسِيرُ لَا تَخْشَى المَوَانِعَ فِي الطَّرِيقِ
وَالْيَوْمَ قد هَبَطْتَ عَلَيْكَ سَكِينَةُ اللُّحْدِ العَمِيقِ
بِالْأَمْسِ كُنْتَ إِذَا أَتَيْتَكَ بَاكِئاً سَلَّيْتَنِي
وَالْيَوْمَ صَهَرْتَ إِذَا أَتَيْتَكَ ضَاحِكاً أَبْكَيْتَنِي

بالأمس كنت إذا سمعت تنهّدي وتوجّعي
 تبكي . وها أبكي أنا وحدي ، ولا تبكي معي
 ما هذه الأكفان ؟ أم هذي قيود من جليد
 قد كبّلتك وذللّتك بها يدُ البرد الشّدِيد؟
 ها حولك الصفصاف لا وَرَقٌ عليه ولا جمال
 يَجْثو كئيباً كلّما مرّت به ريحُ الشّمال
 والحوُرُ يندُبُ فوق رأسك نائراً أغصانهُ
 لا يسرح الحسّونُ فيه مرّداً ألحانهُ
 تأتيه أسرابٌ من الغربان تنعق في الفضاء
 فكأنّها ترثي شباباً من حياتك قد مضى
 وكأنّها بنّعيبها عند الصّباح وفي المساء
 جوقٌ يشيع جسمك الصّافي إلى دار البقاء

لكن سينصرف الشّتا وتعود أيّامُ الرّبيع
 فتفكّ جسمك من عقّالٍ مكّنته يدُ الصّقيع

وتكرّر مَوْجُتُكَ النقيّةُ حُرّةً نحو البحارِ
حُبلى بأسرار الدّجى سكرى بأنوار النهار
وتعود تبسم إذ يُلاطف وجهك الصّافي النسيم
وتعود تسبح في مياهاك أنجم الليل البهيم
والبدرُ يسط من سماه عليك ستراً من لجين
والشمسُ تستر بالأزاهر منكبيك العارين
والحورُ ينسى ما اعتراه من المصائب والحن
ويعود يشمخ أنفه ويميس مخضّر الفنن
وتعود للصّفصاف بعد الشّيب أيتام الشّباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب

* * *

قد كان لي، يا نهري، قلبٌ ضاحكٌ مثل المروج
حرٌّ كقلبك فيه أهواءٌ وآمالٌ تَموج
قد كانَ يضحى غير ما يمسي ولا يشكو المَلَل
واليومَ قد جمّدت كوجهك فيه أمواج الأمل

فتساوت الأيام فيه : صباحها ومساؤها
وتوازنت فيه الحياة : نعيمها وشقاؤها
سَيَّانٍ فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء ،
سَيَّانٍ نوح البائسين وضحك أبناء الصفاء
نَبَذَتْهُ ضوضاء الحياة فمال عنها وانفرد
وغدا جماداً لا يحن ولا يميل إلى أحد
وغدا غريباً بين قوم كان قبلاً منهم
وغدوت بين الناس لغزاً فيه لغز مُبْهِم

* * *

يا نهر ذا قلبي ، أراه ، كما أراك ، مكبلاً
والفرق أنك سوف تنشط من عقالك، وهو... لا

١٩١٧

* * *

أخي

أخي ، إن ضَجَّ بعد الحرب غربيّ بأعماله
وقدّسَ ذِكرَ مَنْ ماتوا وعظّمَ بطشَ أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا، ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلي بقلبٍ خاشعٍ دامٍ
لنبيكي حظّ موتانا

* * *

أخي ، إن عاد بعد الحرب جنديّ لأوطانه
وألقى جسمه المنهوكَ في أحضانِ خلّائه ،
فلا تطلب إذا ما عدت للأوطانِ خلّانا
لأنّ الجوع لم يترك لنا صحباً نناجيهم
سوى أشباح موتانا

* * *

أخي ، إن عاد يحرث أرضه الفلّاح أو يزرع
ويبني بعد طولِ الهجرِ كوخاً هذه المدفع
فقد جفّت سواقينا وهذا الذلُّ مأوانا
ولم يترك لنا الأعداءُ غرساً في أراضينا
سوى أجياف موتانا

* * *

أخي ، قد تمّ ما لو لم نشأه نحن ما تمّا
وقد عمّ البلاءُ ، ولو أردنا نحن ما عمّا
فلا تندب، فأذنُ الغير لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خندقاً بالرّفش والمعولُ
نواري فيه موتانا

* * *

أخي، من نحن ؟ لا وطنٌ ولا أهلٌ ولا جائرُ
إذا نمنا ، إذا قمنا ، ردانا الخزيُّ والعارُ
لقد خمّت بنا الدنيا كما خمّت بموتانا .
فهات الرّفش واتبعني لنحفر خندقاً آخر
نواري فيه موتانا ...

* * *

مَنْ أَنْتِ يَا نَفْسِي

إن رأيتِ البحرَ يطغى الموجُ فيه ويشورُ .
أو سمعتِ البحرَ ييكي عند أقدام الصخورُ ،
ترقبِي الموجَ إلى أن يحبس الموجُ هديره
وتناجي البحرَ حتى يسمع البحرُ زفيره

راجعاً منكِ إليه .

هل من الأمواجِ جئتِ ؟



إن سمعت الرّعدَ يدوي بين طيّات الغمام
أو رأيت البرقَ يفري سيفه جيشَ الظّلام ،
ترصدي البرقَ إلى أن تخطفي منه لظاه ،
ويكفّ الرّعدُ لكن تاركاً فيك صداه

هل من البرق انفصلت ؟

أم مع الرّعدِ انحدرت ؟

إن رأيت الرّيحَ تذري الثلجَ عن روس الجبال ،
أو سمعت الرّيحَ تعوي في الدجى بين التّلال ،
تسكن الرّيحَ وتبقّي باشتياقٍ صاغية
وأناديك ولكن أنتِ عني قاصية

في محيط لا أراه .

هل من الرّيحِ وُلدت ؟

إن رأيتَ الفجرَ يمشي خلسةً بين النجوم
ويوشّي جبةَ الليل المولي بالرسوم ،
يسمع الفجر ابتهالاً صاعداً منك إليه
وتخزي كنيّ هبط الوحي عليه

بخشوع جائيه .

هل من الفجر انبثقت ؟

إن رأيتَ الشمسَ في حضن المياه الزاخرة
ترمق الأرض وما فيها بعينٍ ساحره ،
تهجع الشمس وقلبي يشتهي لو تهجعين ،
وتنام الأرض لكن أنت يقظى ترقبين

مضجع الشمس البعيد .

هل من الشمس هبطت ؟

إن سمعتِ البلبلَ الصّدّاحَ بين الياسمينِ
يسكب الألحانَ ناراً في قلوب العاشقين ،
تلتظي حزناً وشوقاً، والهوى عنك بعيد
فاخبريني ، هل غنا البلبل في الليل يُعيد

ذكرَ ماضيكِ إليك ؟
هل من الألحانِ أنتِ ؟

إيه نفسي ! أنتِ لحنٌ فيّ قد رنّ صداه
وقّعتكِ يدُ فتانٍ خفيّ لا أراه .

أنتِ ريحٌ ونسيمٌ ، أنتِ موجٌ ، أنتِ بحرٌ ،
أنتِ برقٌ ، أنتِ رعدٌ ، أنتِ ليلٌ ، أنتِ فجرٌ

أنتِ فيضٌ من إله !

جبلُ التمنيِّ

نتمنّى ، وفي التمنيِّ شقاء
وننادي يا ليت كانوا وكنا
ونصلي في سرّنا للأمانى
والأمانى في الجهرِ يضحكن منا
غير أني ، وإن كرهت التمنيِّ ،
أتمنّى لو كنت لا أتمنّى

نتمنى وما التمني سوى مهماز
دهرٍ يحثُّنا للمسيرِ
فصغيراً قد كنت أطلب لو كنت
كبيراً ولي صفات الكبيرِ
وكبيراً ، لو عدت طفلاً صغيراً
واستردت نفسي نعيم الصَّغيرِ

وخليئاً ، لو كنت بالحبِّ مضنى
وأسيرَ الغرام، لو كنت حراً
وفصيحاً ، لو كنت عيًّا سَكوتاً
وسَكوتاً ، لو كنت أنطق درّاً
وحكيماً ، لو كنت غرّاً ، وغرّاً
لو عرفت المكنون سرّاً فسرّاً

ووحيداً ، لو كان حولي ناسٌ
ومحاطاً بالناس ، لو كنت وحدي
وغريباً ، لو كنت ما بين أهلي
وقريباً ، لو طال أو دام بُعدي
ووضيعاً ، لو كنت صاحب مجد
ومجيداً ، لو لم يكن لي مجدي

وفقيراً ، لو كان لي بحر مال
وغنياً... لو كان لي ضعف مالي
فلکم حالة طمحت إليها
قائلاً إن بلوتها قرّ بالي
وأراني ، ما زلتُ عبدَ الأمانِي
أتمنى لو كنت في غير حالي

* * *

كلّنا يزرع الأمانى . ولا نحصد
بعد العناء غير الأمانى
فالأمانى جبلٌ نسير عليه
فوق بحر الوجود كالبهلوان
والأمانى يقرضن جبلَ الأمانى
كالثوانى يقرضنَ جبلَ الثوانى

* * *

أتمنى ما زلت أجهل نفسي
وأنادي يا ليتني ولو اني
وأصلي في داخلي للأمانى
والأمانى في الجهر يضحكن مني
غير أنني لا بدّ أبلغ يوماً
فيه أمسي حرّاً عديمَ التمني

مِنْ سَفَرِ الزَّمَانِ

١ - الى سنة مدبرة :

روحي! فكم شَبْتُ وشابت سِنِي
من قبل أن بانت حواشِيكَ !
واليوم كَفَّ الدهر تطويكَ
عَنَّا، ومن يدري متى تُنْشَرِينْ ؟

روحي واخلِّينا

بالأرض لاهينا ،

نرعى أمانينا

في مرجِ أوْهامِ

ما بين أيام وأعوام
تأتي وتمضي وهي سرّ دفين

٢ - إلى سنة مقبلة

ما أنتِ في سفر الزمان العظيم
إلاّ صدى الماضي وصوت الغد
فيك استوى من قبل أن تُولدي
قطبا حياة نحن فيها نهيم
لا جوعها يشبع
لا موتها يهجع ،
لا طامع يقنع
فيها ولا الزاهدون
النّاس في أسرارها حائرون
والسرّ، لو يدرون، فيهم مقيم

لو تُدْرِكُ الْأَشْوَاقُ

يا ساقِي الجَلَّاسِ بِاللَّهِ لَا
تَحْفَلْ بِكَاسِي بَيْنَ هَذِي الْكُؤُوسِ
أَتَرَعُ لَغِيرِي الْكَاسَ ، أَمَّا أَنَا
فَاحْسِبْ كَأَنِّي لَسْتُ بَيْنَ الْجُلُوسِ
وَاعْبِرْ ، وَدَعْنِي فَارَعُ الْكَاسِ
لَا ، لَا تَقْلْ مَا طَابَتْ الْخَمْرُ لِي
أَوْ أَنَّنِي مَا بَيْنَكُمْ كَالْغَرِيبِ ،
بَلْ إِنَّ لِي يَا صَاحِبِي خَمْرَةً
مَا مِثْلُهَا يُطْفِي بَرُوحِي اللَّهِيْبِ
أَعْصِرْهَا مِنْ قَلْبِي الْقَاسِي



يا مرسلَ الألحانِ من عوده
سحراً يهيج الصبَّ حتى الجنونُ ،
إمّا رأيتَ الرأسَ مَتّي انحنى
والعين غابت خلف ستر الجفون
وفلا تُقلّ ذي حالٍ ولهانٍ
لا ، لست بالولهان يا صاحبي ،
فالقلب مَتّي جامدٌ كالجليد .
لكُنّني مصغٍ لنفسي ، ففي
نفسِي أوتارٌ وفيها نشيد
فاضرب ، ودعني بين ألحاني

* * *

يا ساكن القصر الجميل اغتبط
يا صاحبي واهناً بقصرٍ جميلٍ
ولتسِقْكَ الأيامُ من كوثر اللذات
ولتَمْنَحْكَ عمراً طويلاً
تجني الهنا عاماً ورا عامٍ

لا ، لا تقل ما راقني قصرك العالي
أو اني لم يطب لي هواه
بل ان لي يا صاح قصرأ أثبت
نفسي بأن تلجأ لقصر سواه
ذا قصر أفكاري وأحلامي

* * *

يا جالساً بين اللحود التي
سكانها أضحوا تراباً ودود
إني ، إن من تبيكه يا صاحبي
لا شك خدناً أو صديق ودود
أو ، إن تشا ، قل خير إنسان
لكن غداً تنساه ، أما أنا
ففي حياتي كل يوم دفين
إذ أنني أجت زاد البلى
متي ، وكم يلى رجاء ثمين
في لحظة من عيشنا الفاني !

* * *

يا حاشدَ الأموالِ فلساً إلى
فلسٍ يكدّ الليلَ قبلَ النهارِ
أيّامه صفرٌ كأعوامه
لا لون فيها غير لون النضار
عمياء تجري حيث لا تدري
لا والذي الأقدارُ خدّامه
ما في فؤادي غصّةٌ من غناكُ
إذ قد حباني الحظُّ بعضَ الغنى
يا صاحبي من غير ما قد حباك
فاحشد ولا تشفق على فقري

* * *

يا حاملَ الإنجيلِ يدعو إلى
نبذ المعاصي منذراً بالعقابِ
بشر وخلص يا أخي أنفساً
ضلّت لكي تلقى جميلَ الثوابِ
إذ ينصبُ الديانُ ميزانه

إِذَا صَمَمْتُ الْأُذُنَ عَنْكَ فَلَا
تَغْضَبْ وَدَعْنِي فِي ضَلَالِي أَهِيمُ
إِذْ لِي فَوَادٍ قَدْ حَوَى جَنَّةً
وَاللَّهِ أَدْرَى كَمْ حَوَى مِنْ جَحِيمِ
فَاكْرَزْ ، وَدَعْ قَلْبِي وَأَدْرَأْنَهُ

* * *

يَا زَهْرَةَ مَا بَيْنَ شَوْكِ نَمَتْ
لَوْلَا شَذَاهَا ضَلَّ عَنْهَا الْبَصَرُ
هَلْ تَدْرِكُ الْأَشْوَاكُ يَا زَهْرَتِي
أَنَّ الشَّذَا هَذَا شَذَاكِ انْتَشَرَ
فِي الْحَقْلِ لَا عَطَرَ لَهَا فَا حَا ؟
هَلْ تَدْرِكُ الْأَشْوَاكُ مَا تَدْرِكِينَ ؟
هَلْ عَطَّرَ الْعَلِيقُ أَذْيَالَهُ
مَنْ حَيْثُ تَمْتَصِّينَ أَنْتِ الْأَرِيغَ ؟
أَمْ حَاكِ غَيْرِ الشَّوْكِ ثَوْباً لَهُ
مَنْ حَيْثُ حَكَيْتِ أَنْتِ أَبْهَى النَّسِيغَ ؟
قَدْ تَصَبَّحَ الْأَشْوَاكُ آفَا حَا
لَوْ تَعْرِفُ الْأَشْوَاكُ مَا تَعْرِفِينَ !

١٩٢٠

ابتهالات

كحلّ اللهم عيني
بشعاع من ضياك
كي تراك

في جميع الخلق : في دود القبور ،
في نسور الجو ، في موج البحار
في صهاريج البراري ، في الزهور ،
في الكلا ، في التبر ، في رمل القفار
في قروح البرص ، في وجه السليم ،
في يد القاتل ، في نجع القتيل ،
في سرير العرس ، في نعش الفطيم
في يد المحسن ، في كفّ البخيل

في فؤاد الشيخ ، في روح الصغير
في ادّعا العالم ، في جهل الجهول
في غنى المثري ، وفي فقر الفقير ،
في قذى العاهر ، في طهر البتول
وإذا ما ساورتها سكتة النوم العميق
فاغمض اللهم جفניה إلى أن تستفيق

* * *

وافتح اللهم أذني
كي تعي دوماً نداك
من علاك

في ثغاء الشاة ، في زأر الأسود
في نعيق البوم ، في نوح الحمام
في خرير الماء ، في قصف الرعود
في هدير البحر ، في زحف الغمام
في غنا البلبل ، في ندب الغراب
في ديبب النمل ، في هبّ الرياح
في طنين النحل ، في زعق العقاب
في صراخ الليل ، في همس الصباح

في بكا الأطفال ، في ضحك الكهول
في ابتهالات العراة الجائعين
في انتحاب الناي ، في دقّ الطبول
في صلاة الملك والعبد السجين
وإذا ما قرب الموت ووافاها الصّمم
فاختمن ربي عليها ريثما تحيا الرّمم

* * *

وليكن لي يا إلهي

من لساني شاهدان

صادقان

إنّ أفة بالحقّ فليشهد معي
أو أفة بالبطل فليشهد عليّ
وإذا ما قام غيري يدّعي
يا إلهي الحقّ في بطلٍ وغيّ
فليكن سيفاً لساني حدّه
في سبيل الحقّ ماضٍ لا يُهاب
لا يكفّ الضرب حتى ضده
ينثني عن غيّه نحو الصواب

وإذا ما خان نطقي قلبي
فأراه البطل في الحق الصريح
في كلام الغير ، فاجعل من فمي
للساني أيها الباري ضريح
فلسان يعلن الحق وسراً يذبحه
ليت شعري غير صمت الموت ماذا يصلحه

* * *

واجعل اللهم قلبي
واحة تسقي القريب
والغريب

ماؤها الإيمان ، أما غرسها
فالرجاء والحب والصبر الطويل
جوّها الإخلاص ، أما شمسها
فالوفا والصدق والحلم الجميل

فإذا ما راح فكري عبثاً
في صحارى الشك يستجلي البقاء
مرّ منهوكاً بقلبي فجثا
تائباً يمتصّ من قلبي الرجاء

وإذا ما أملي يوماً مشى
تائهاً في مهمه العيش السحيق ،
عاد لما كاد يقضي عطشا
يحتسي الإيمان من قلبي الرقيق
وإذا الإيمان ولّى والرجا أضحى ضريز
فلينم قلبي إلى أن ينفخ البوق الأخير

١٩٢٠

•

صَدَى الْأَجْرَاسِ

بالأمس	جلستُ ،	وأفكاري
سرحتُ	تستفسر	آثاري
وترود	الحاضر	والماضي
أملأُ	أن تدرك	أسراري
واصطفّت	حولي	أيّامي
تستعرض	عسكر	أحلامي
فمشت	أحلامي	تخفّرها
وتقود	خطاها	أوهامي

وأفاق الشك وأنصاره ،
آلام العيش وأوزاره ،

فأطلّوا من قلبي ليروا

قلباً تتقطع أوتاره

وشباباً يجمعها أبداً

ويعقدها عقداً عقداً

وعليها يعزف ألحاناً

لا تُطرب في الدنيا أحداً

وإذا بسكيتي ارتجفت

وقوافل أفكاري وقفت ،

إذ مزق ستر الليل صدى

عرفته الأذن وما عرفت :

دِنْ . دِنْ ... دِنْ . دِنْ ...

بالله شكوكي خلّيني

وحدي . ذا الصّوت يناديني

ذا صوت صباي يرده
الوادي وشواهي صنيي .

سمعاً . دن . دن ! سمعاً . دن . دن !

قولوا لرفاقي يجتمعوا
فالشمس رويدا ترتفع ،

واليوم العيد ورب العيد
يناديننا ، أوما سمعوا ؟

دن . دن ! دن . دن !

هوذا قد أقبل أترابي
أهلاً ، أهلاً بأصحابي !

الناس تسير إلى القدس
ونحن نكر إلى الغاب

دن . دن ! دن . دن !

أشجار الغاب تحيينا
وطيور الغاب تناجينا

وزهور الغاب تصافحنا

ونصافحها وتهنئنا

دن . دن ! دن . دن !

الريّح تمرّ بنا خببا

فيميس الحور لها طربا

والشمس بلطف تلثم أوْجْهَنا

وتذرّ لنا ذهباً ذهباً

أغصان الغاب تلاعبنا

وهوام الغاب يداعبنا

وصخور الوادي تدعونا

وصدى الأجراس يعاتبنا

دن . دن ! دن . دن !

ها هم أترابي قد سرحوا

في الغاب يقودهم المرح

وبقيت أنا وحدي سكرانا

يرقص في قلبي الفرح

فجلست على كتف النهر
 ما بين العوسج والزهر
 العالم مملكتي ، وأنا
 سلطان العالم والذهر
 الزهر يعطر أنفاسي
 والنهر يولد في رأسي
 أشباحاً راقصة لخير
 الماء وصوت الأجراس
 دن - دن - دن ...

مَنْ ذلك بين الأشجار
 يمشي كخيال من نار ؟
 هو يضرب عوداً والأشجار
 تئن لشكوى الأوتار
 دن - دن ...

الزهر ينكس تيجانه
 والحور يلملم أغصانه

والريّح تمزّ على أوتار
العود فتخنق ألحانه

دن ...

ما بال سكينتي اضطربت
وجحافل أشباحي هربت

والغاب وما فيها ووجوه
رفاقي عن عيني احتجبت ؟

قد عاد الشكّ وأنصاره ،
آلام العيش وأوزاره

وأطلّوا من قلبي ليروا
قلبا تنقطع أوتاره

وشباباً يجمعها أبدا
ويعقّدها عقداً عقدا

وعليها يعزف ألحاناً
لا تُطرب في الدّنيا أحدا

الطَّرِيقُ

نحن يا ابني عسكرٌ قد تاه في قفرٍ سحيقٍ
نرغب العودَ ولا نذكر من أين الطريقُ
فانتشرنا في جهات القفر نستجلي الأثر
نسأل الشمس عن الدرب ونستفتي الحجر
وسنبقى نفحص الآثار من هذا وذاك
ريثما ندرك أنّ الدرب فينا لا هناك
وسنبقى في انتقالٍ وشقاءٍ وعذابٍ
وصعودٍ وهبوطٍ ، وذهابٍ وإيابٍ
وسنبقى نهجع الليل وفي الصبح نفيقُ
ريثما نلقى منانا - ريثما نلقى الطريق

١٩٢١

أوراقُ الخريف

تناثري تناثري

يا بهجة النظر

يا مرقص الشمس ويا

أرجوحة القمر

يا أرغن الليل ويا

قيثارة السحر

يا رمز فكرٍ حائرٍ

ورسم روحٍ ثائرٍ

يا ذكر مجيدٍ غابرٍ

قد عافك الشجر

ثناثري ! تناثري !

تعانقي وعانقي
أشباح ما مضى
وزوذي أنظارك
من طلعة الفضا
هيهات ان ، هيهات ان
يعود ما انقضى
وبعد أن تفارقي
أتراب عهد سابق
سيري بقلب خافق
في مركب القضا
تعانقي ! تعانقي !
سيري ولا تعانبي
لا ينفع العتاب
ولا تلومي الغصن
والرياح والسحاب
فهي إذا خاطبتها
لا تحسن الجواب

والدَّهر ذو العجائبِ
وباعثِ النَّوائِبِ
وخانقُ الرغائبِ
لا يفهم الخطابِ
سيري ولا تعاتبي !
عودي إلى حضن الثرى
وجددِ العهدِ
وانسي جمالاً قد ذوى
ما كان لن يعود
كم أزهرت من قبلك
وكم ذوت ورود
فلا تخافي ما جرى
ولا تلومي القدرا
من قد أضاع جوهرها
يلقاه في اللّحودِ
عودي إلى حضن الثرى !

١٩٢١

تَخْدِيرُ أَفْكَارِ

برَبِّكَ ، لا ، لا تسرقي دَمعة الباكي
ولا تخنقي ، لا تخنقي أنة الشاكي
ولا تسكبي زيتاً على جرح بائس
يرى بجروح القلب ما كان يخفاك
ولا تضفري إكليل غار لشاعر
أعدت له الأقدار إكليل أشواك
ولا تفتحي عين الضرير لكي يرى
جمال محياك وقبح محياك

ولا تلمسي أذن الأصم لكي يعي
تنافر ضوضاك وألفة ضوضاك
ولا تُنطقي من كان أبكم صامتاً
لينشد ذكراك ويلعن ذكراك
ولا تجبري عظماً كسيراً بصدر من
تخطم منه القلب في نوّاهواك
ولا ترفعي عيناً عن الأرض نحو ما
تستّر عنها في فضاء وأفلاك
بربك ، أفكاري ، دعيني سابحاً
ببحر وجودي - دودة بين أسماك
ضريراً ، أصمّاً ، أبكماً ، متجلبباً
بجهلي وضعفي ، دون علم وإدراك
فنصحك تمويه ، وصدقك حبة
من القمح في أكداس تبن وأحساك
وكم صدقت تمويهك النفس سابقاً
فما كان أغباها ، وما كان أقساك !

التَّائِه

أسير في طريقي	في مهمهٍ سحيقٍ
ووحدي رفيقي	ووجهتي الفضا
مطيّتي الترابُ	وخوذتي السحابُ
ودرعي السّرابُ	ورائدي القضا
تسوقني الثّواني	في موكب الزّمانِ
ولست أدري شاني	في معرض الوري
فلا القضا ينبيني	ولا الرّجا يهديني
ولا السما تعطيني	نوراً لكي أرى

تثيرها الأقدارُ	بل في ضلوعي نازُ
سواي موقدا	يا ليتها تختارُ
يُشوى بها فؤادي	نازُ بلا رمادٍ
من يسمع النداء	وليس إذ ينادي
لو كنت أدري ما هي	واحرقتي ، أوإه
أم شعلة الردى	أشعلةُ الإله
وهي التي تفنيني	فهي التي تحييني ،
من جمرها ندى	وهي التي تسقيني
أراني الإلاهـا ،	وهي التي لظاها
لم أعرف الشقا	وهي التي لولاها
ذي النارُ أم عطيه	رباه هل بليّه
ويعذب البقا ؟	تحلو بها المنية
عليّ أم فسادى ،	هل جرّها عنادي
لسلطة الهوى ؟	أم جرّها انقيادي
بفكريّ المبتور ،	أم جرّها غروري
عن فهم ما انطوى؟	أم جرّها قصوري

رَبِّاهُ هَلْ يَلَامُ	مَنْ رَيَّهْ أُوَامُ
وَنُورُهُ ظِلَامُ	إِنْ قَلْبُهُ كَبَا ؟
أَمْ يَجْلِبُ الْعُقَابَا	مَنْ يَأْكُلُ الضُّبَابَا
وَيَرْتَدِي السَّرَابَا	إِنْ فَكَّرُهُ نَبَا ؟
أُخَالِقِي رَحْمَاكَ	بِمَا بَرَّتْ يَدَاكَ !
إِنْ لَمْ أَكُنْ صَدَاكَ	فَصَوْتُ مَنْ أَنَا ؟
رَبِّي ، أَلَا تَرَانِي	أَسَاقُ كَالْحِمْلَانِ
رَبِّي ، أَمَّا كَفَانِي	عِمَائِي وَالْوَنِي ؟
فَابْدِلْ لَظِي نِيرَانِي	بِجَمْرَةِ الْإِيمَانِ
وَاجْعَلْ مِنَ الْخَنَانِ	لِلْقَلْبِ مَرَهْمَا
إِذْ ذَاكَ بِالتَّهْلِيلِ	أَسِيرُ فِي سَبِيلِي
وَأُخَالِقِي دَلِيلِي ،	وَوُجْهَتِي السَّمَاءَ !

١٩٢٢

آفاق القلب

دموعُ العين قد جمدتُ ،
وريح الفكر قد خمدتُ ،
فلم ، يا قلب ، لِمَ يا قلب
فيك النار في لهبٍ
وكنت أظنّها خمدت؟

ربيع العمر مذ ذهباً
وريق الحبّ مذ نضياً ،
أفقت ، وكنّت يا قلبي
بلا سمعٍ ولا بصيرٍ
كصخرٍ في الحشا رسباً

فكم من مرّة هجما
عليك الحبّ فانهزما
وكم ، كم قد جثا قلب
أمامك حاملاً أملاً
فراح مزوّداً ألماً !

وكم عينٍ لديك بكت ،
وكم روحٍ إليك شكت ،
فسالت مهجّة الشاكي
وجفّت دمعته الباكي
ورسماً فيك ما تركت !

إلى أن دار في خلدي
بأنك لست من جسدي
وأنتك طينة لما
براني الله لم ينفخ
بها من روحه الأبدي



فقلت لفكرتي اتقدي ،
وقلت لنفسي اتقدي
فنور الفكر يهدينا
إذا ما قلبنا جمدا
ونوراً فيه لم نجد

ورحت أجوب ما استترا
من الدنيا وما ظهرا
وأبحث في غبار العيش
عن خزي وعن صدف
أراه بفكرتي دررا

ورحت أقيس أيامي
وأعمالي وأحلامي
وما حولي ومن حولي
وما تحتي وما فوقتي
بأفكاري وأوهامي

فأطرح كلّ ما حادا
عن المقياس أو زادا
وأفصل ذاك عن هذا
فأدعو البعض أشباها
وأدعو البعض أضدادا

كذا قسنا ليالينا
وحاضرنا وماضينا
أنا والفكر ، يا قلبي
ومن أكّداس ما قسنا
لقد شدنا علالينا

كذا يا قلب ، شدناها
ودهرأ قد سكّناها
بعيداً عن صدى الأثات
واللّوعات والشكوى
وعن دنيا كرهناها

جعلت الفكر حاميتها
لأنّ الفكر بانيها
ولم أترك لقلب كان
ميتاً بين أضلاعي
ولا مقصورة فيها

فقمّت اليوم واعجبا
من الأموات ملتهبا
لتحرق ما بنينا
ولا تبقي لنا حجرا
ولا خشباً ولا حطباً

وتتركنا بلا مأوى
ولا سندٍ ولا سلوى
تصفّقنا رياح العيش
في أقطار دنيانا
كما تهوى ولا نهوى

أُقلِّبِي أَحْكَمَ وَلَا تَرْهَبِ
فَمَا لِي مِنْكَ مِنْ مَهْرَبِ
فَأَنْتَ الْيَوْمَ سُلْطَانِي
وَأَنْتَ الْيَوْمَ رَبَّانِي
أَدْرِنِي كَيْفَمَا تَرْغَبِ

وَدَمَّرْ كُلَّ أَسْوَارِي
وَفَضَّحْ كُلَّ أَسْرَارِي
وَإِنْ تَعَثَّرَ فَلَا تَنْدَمِ
وَإِنْ تَأْمَرَ فَلَا تَرْحَمِ
وَزِدْ نَاراً عَلَى نَارِ

وَحَلِّ النَّاسِ بِالنَّاسِ
تَقْيِسُ الْبَحْرَ بِالْكَاسِ
وَقُلْ لِلْفِكْرِ إِنَّ الْقَلْبَ
بَحْرٌ شَاسِعٌ طَامِ
يُقَاسُ بِغَيْرِ مَقْيَاسٍ !

أفاق القلب ، واطربي !
أفاق القلب ، واحربي
فتم يا فكر ، أو فاضع
لقلب كان من حجر
فصار اليوم من لهب

١٩٢٢

•

الخير والشر

سمعت في حلمي ويا للعجب !
سمعت شيطاناً يناجي ملاك
يقول «اي بل ألف اي يا أخي
لولا جحيمي أين كانت سماك ؟
أليس أنا توأمان استوى
سرّ البقا فينا وسرّ الهلاك ؟
ألم نُصْغُ من جوهرٍ واحدٍ ؟
إن ينسني الناس أتُنسى أخاك ؟»
فأطرق ابن النور مسترجعاً
في نفسه ذكرى زمانٍ قديمٍ
واغرورقت عيناه لما انحنى
مستغفراً ، وعانق ابنَ الجحيم
وقال «اي بل ألف اي يا أخي
من نارك الحرّى أتاني النعيم»
وحلّق الاثنان جنباً إلى
جنبٍ وضاعا بين وشي السديم

١٩٢٢

انْشُودَة

أَلْقَيْتُ دَلْوِي	بَيْنَ الدَّلَائِ
وَقُلْتُ عَلَيَّ	أَحْظَى بِمَاءِ
فَعَادَ دَلْوِي	مَعَ الدَّلَائِ
وَلَيْسَ فِيهِ	إِلَّا رَجَائِي
أَطْلَقْتُ قَلْبِي	عِنْدَ الْغُرُوبِ
لِيَتَسَلَّى	مَعَ الْقُلُوبِ
فَعَادَ قَلْبِي	بَعْدَ الْغُرُوبِ
يَشْكُو إِلَيَّ	ثَقْلَ كَرْوَبِي

أرسلت طرفي	بين النجوم
وقلت علي	أنسى همومي
فطاف طرفي	بين النجوم
ولم يشاهد	سوى غمومي
علقت عودي	على الغصون
وقلت علي	أسلو شجوني
فلم تردد	على الغصون
أوتار عودي	إلا جنوني
قدّمت حبي	لمبغضيّا
لقاء ما قد	جنوا عليّا
فكان حظي	من مبغضيّا
أن عاد حبي	بغضاً إليّا
علوت يوماً	متن جوادي
ورشت سهمي	على الأعادي
فخرّ ميتاً	تحتي جوادي
وارتدّ سهمي	إلى فؤادي

أدرت وجهي	نحو السحاب
وصحت : ربي	خفف عذابي !
فجاء صوت	من التراب
يصيح : ربي	خفف عذابي
لما أتتني	بالأمس رحي
تشكو جروحاً	فوق الجروح
همستُ سرّاً	في روح رحي
يا روح غني	ولا تنوحي
فالعمر لحن	إذ تسمعينه
تعين منه	ما تنشدينه
والعيش حقل	تستثمرينه
يعطيك ممّا	تستودعينه

١٩٢٢

قَبُورُ تَدُورُ

هَلَمِّي ! هَلَمِّي نَحْيِ الْقَبُورُ
وَنَمْتَصَّ مِنْهَا رَحِيقَ الدَّهْورِ
عَسَانَا إِذَا مَا رَأَيْنَا عَظَامَا
يَفْتَتِقُ مِنْهَا الرِّبِيعُ الزَّهْورِ
عَرَفْنَا بِأَنَّ الْفَنَاءَ بَقَاءُ
وَأَنَّ الْحَيَاةَ قَبُورُ تَدُورُ

هَلَمِّي ! هَلَمِّي وَخَلِّي الرَّجَاءُ
وَمَدِّي بَعِينِكَ نَحْوَ الْفَضَاءِ
عَسَاكَ إِذَا مَا رَأَيْتَ شَمُوساً
تَغِيبُ وَتَبْدُو بِحَكْمِ الْقَضَاءِ
عَرَفْتَ بِأَنَّ الْبَقَاءَ امْتِثَالُ
وَأَنَّ الرَّجَاءَ شَقَاءُ الْبَقَاءِ

تعالِي ! تعالِي واخلِي الكفاح
لأجل الصلاح وضدّ الطلاح
وقولي إذا ما همستِ سلاماً
بأذن المساء فردّ الصباح
أليس الصباح شقيق المساء
أليس الطلاح شقيق الصلاح ؟

تناسِي زمان الصّبا والشباب
وسوقي مع الرّيح جيش السحاب
وقولي أفي الشّحب قَطُرُ فتِيّ
وقَطُرُ تقادم عهداً فشاب ؟
أليس الشباب ، أليس المشيب
سحاباً ونحن دموع السحاب ؟

تخلِي عن الصّدق للكاذِبين
وعن عَقّة الحبّ للعاشقين
وخلِي الفخار لأهل النضار
ومجدّ المعارف للجاهلين
وخلِي المعالي وجدّ الليالي
وحبّ التفوّق للمقعّدين

بعينيك نورّ تراه العيون
جميلاً فتضحك منها المنون
لأنّ المنايا تحدّق فيك
بعين الزمان التي لا تخون
فتبصر في مقلتيك تراباً
وتبصر دوداً وراء الجفون
فخلّي جمالاً يراه الغرور
وليست تراه عيون الدهور
وخلّي الجهاد ، وخلّي الطموح
وخلّي القصور وحيّي القبور
ودوري مع الكون جيلاً فجيلاً
فهل نحن إلّا قبور تدور ؟

١٩٢٨

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ أَضْرَمُوا
لِلْجَهْلِ نِيرَاناً لَكِي يَحْرِقُوهُ
وَشَيَّدُوا عَرْشاً رَفِيعَ الدَّرَى
وَهَيْكَلًا لِلْعِلْمِ كَيْ يَعْبُدُوهُ
وَضَعْتَ إِيمَانِي عَلَى رَاحَتِي
وَقُلْتَ : هَا عِلْمِي ، أَلَا كَرَّمُوهُ !
وَقُدْتُ نَحْوَ النَّارِ عَقْلِي الْغَبِي
وَقُلْتَ : هَا جَهْلِي ، أَلَا فَاتْلَفُوهُ !

فأجلسوا عقلي على عرشهم
وحرقوا الإيمان لم يرحموه
وإذ رأيت الناس قد نصّبوا
للكذب صلباناً لكي يصلبوه
وتوّجوا الصدق، ومن حبّهم
للصدق في أرواحهم حكّموه
قدّمت ما بي من ضمير لهم
وقلت : ها كذبي ، ألا سمّروه !
وسقت قلبي نحوهم هازجاً
وقلت : ها صدقي ، ألا توجّوه !
فسمّروا قلبي ، وواحسرتي
أمّا ضميري فلقد ألّهوه ...

١٩٢٢

الطَّمَانِينَةُ

سَقْفُ بَيْتِي حَدِيدُ	رَكْنُ بَيْتِي حَجَرُ
فَاغْصَفِي يَا رِيَاخُ	وَانْتَحِبْ يَا شَجَرُ
وَاسْبَحِي يَا غَيُومُ	وَاهْطَلِي بِالْمَطَرِ
وَاقْصِفِي يَا رَعُودُ	لَسْتُ أَخْشَى خَطَرَ
سَقْفِ بَيْتِي حَدِيدُ	رَكْنِ بَيْتِي حَجَرُ
مَنْ سَرَاஜِي الضُّئِيلُ	أَسْتَمِدُّ الْبَصْرُ
كَلَّمَا اللَّيْلُ طَالَ	وَالظُّلَامُ انْتَشَرَ
وَإِذَا الْفَجْرُ مَاتَ	وَالنَّهَارُ انْتَحَرَ
فَاخْتَفِي يَا نَجُومُ	وَانْطَفِئْ يَا قَمَرُ
مَنْ سَرَاஜِي الضُّئِيلُ	أَسْتَمِدُّ الْبَصْرُ

باب قلبي حصين	من صنوف الكدر
فاهجمي يا هموم	في المسا والسحر
وازحفي يا نحوس	بالشقا والضجر
وانزلي بالألوف	يا خطوب البشر
باب قلبي حصين	من صنوف الكدر
وحليفي القضاء	ورفيقي القدر
فاقدحي يا شرور	حول قلبي الشرر
واحفري يا منون	حول بيتي الحفر
لست أخشى العذاب	لست أخشى الضرر
وحليفي القضاء	ورفيقي القدر

١٩٢٢

يا رَفِيقِي

يا رفيقي ، رفيق جسمي وروحي ،
وشريك في نعمتي وشقائي
وصديقي ، صديق علمي وجهلي ،
ونديمي في شدتي ورخائي
إن دعانا ربّ السماء إليه
لحساب ، حذارٍ من أن تُرائي
يا رفيقي أمام ربّ السماء

قل جَهِلْنَا الحرام في كلِّ أمرٍ
وسلكنا في كلِّ يومٍ سبيلاً
فأبحنا للنفس ما النفس تهوى
وشفينا من الفؤاد الغليلاً
إذ نظرنا إلى الوجود بعينٍ
جعلتها لنا السماء دليلاً
لم نُخَيِّر في نخبها ، لم نُشَارِكْ
لا كثيراً في صنعها ، لا قليلاً
فرأينا الخلاق لما رأينا
كلَّ شيءٍ مما يراه جليلاً
وعجيباً وطاهراً وجميلاً

قل هبطنا على الحياة ضيوفاً
لا ولاءة نُدير منها خُطاهَا
أو قضاةً نقضي لها وعليها
أو غزاةً نبتزّ منها حلاها
فجلسنا إلى خوانٍ أنيقٍ
بسطت فوقه الحياة غناها
وأكلنا ولم نَمَسْ برجسٍ
وشربنا ولم نُدْنَسْ شفاها
ولعمري ما الرجس والكفر إلاّ
أن نرى في جنى الحياة بلاها
وجناها يذيع فينا الإلها

قل ولجنا قصر الحياة عُراً
واقتربنا من الحياة سكارى
فاستطينا لهائها ولماها
وعشقنا ظلامها والنهارا
ورضعنا من ثديها ما اشتهينا
ونزعنا عن منكبيها الإزارا
وغرفنا من حفنتيها كنوزاً
وقطفنا من وجنتيها ثمارا
غير أننا لما دُعينا انطلقنا
وتركنا ، كما وجدنا ، الديارا
وخرجنا منها عُراً حيارى

قل أطعنا في كلِّ ما قد فعلنا
صوت داعٍ إلى الوجود دعانا
فجنينا من الحياة ولكن
قد أعدنا إلى الحياة جنانا
وأكلنا منها ولكن أكلنا
وشربنا لحومنا ودمانا
ومضينا ، ولا ندامةً فينا ،
وتركنا كؤوسنا لسوانا
فإذا كان في الحياة حرامٌ
فحرامٌ مَنْ مثلنا أن يهانَا
وحرامٌ مَنْ مثلنا أن يدانا

يا رفيقي ، رفيق جسمي وروحي ،
وشريك في نعمتي وشقائي ،
قل رأينا طهارةً وجمالاً
لا فساداً في صنع ربّ السماء
فأبحنا للنفس كلّ منها
وتركنا الحرام للفقهاء

١٩٢٢

ذُمَّكَ الْأَيَّامَ

ذُمَّكَ الْأَيَّامَ لَا يَنْفَعُكَ
فَهِيَ لَا أُذُنَ لَهَا تَسْمَعُكَ
لَا وَلَا عَيْنَ تَرَى عَقْرَباً
فِي دِيَاغِيرِ الْأَسَى تَلْسَعُكَ
لَا وَلَا قَلْبَ يَرْقُ وَإِنْ
جَفَّ مِنْ طَوْلِ الْبُكََا مَدْمَعُكَ
عِنْدَهَا سَيَّانَ يَا صَاحِبِي
أَزْهَرْتَ أَمْ أَقْفَرْتَ أَرْبُوعُكَ

عندها سيان يا صاحبي
نغمة الهازج والبنادب
وابتسام الطفل في مهده
وانتحاب العاجز الخائب
ورضا الراضي بقسمتها
وعداء الثائر الصاحب
عدلها في أنها لا ترى
حال مغلوب ولا غالب
ذمك الأيام لا ينفعك
إنما الأيام لا تسمعك
فهي منك الظل يا صاحبي
عجباً ظلك كم يخدعك !

١٩٢٢

الى دودة

تدبّين دبّ الوهن في جسمي الفاني
وأجري حثيثاً خلفَ نعشي وأكفاني
فأجتاز عمري راكضاً متعثراً
بأنقاض آمالي وأشباح أشجاني
وأبني قصوراً من هباء وأشتكي
إذا عبثت كفّ الزمان ببنياني
ففي كلّ يوم لي حياة جديدة
وفي كلّ يوم سكرة الموت تغشاني
ولولا ضباب الشكّ يا دودة الثرى
لكنت أُلَاقِي في دبيبك إيماني
فأترك أفكاري تذيع غرورها
وأترك أحزاني تكفّن أحزاني

وأزحف في عيشي نظيرك جاهلاً
دواعي وجدي أو بواعث وجداني
ومستسلماً في كلِّ أمرٍ وحالةٍ
لحكمة ربِّي لا لأحكام إنسان

فها أنتِ عمياءِ يقودك مبصرٌ
وأمشي بصيراً في مسالك عُميان
لك الأرض مهذٌ والسماء مظلةٌ
ولي فيهما من ضيق فكري سجنان
لئن ضاقتا بي لم تضيقا بحاجتي
ولكن بجهلي واذعائي بعرفاني
ففي داخلي ضدان : قلبٌ مُسلِّمٌ
وفكرٌ عنيدٌ بالتساؤل أضناني
توهم أنَّ الكون سرٌّ وأنه
يُنال ببحث أو يباح ببرهان

فراح يجوب الأرض والجو والسما
يسائل عن قاصٍ ويبحث عن دانٍ
وكنت قصيداً قبل ذلك كاملاً
فضضع ما بي من معانٍ وأوزان

وأنتِ التي يستصغر الكلّ قدرها
ويحسبها بعضُ زيادةٍ نقصان
تدبّين في حُضن الحياة طليقةً
ولا همّ يضمنيك بأسرار أكوان
فلا تسألين الأرض مَنْ مدّ طولها
ولا الشمس مَنْ لظّى حشاها بنيران
ولا الريح عن قصد لها من هبوبها
ولا الوردة الحمراء عن لونها القاني
وما أنتِ في عين الحياة دميمة
وأصغر قدراً من نسورٍ وعقبان

فلا التّبر أغلى عندها من ترابها
ولا الماس أسنى من حجارة صوّان
هل استبدلت يوماً غراباً ببلبل
وهل أهملت دوداً لتلهو بغزلان ؟
وهل أطلعت شمساً لتحرق عوسجاً
وتملأ سطح الأرض بالآس والبان ؟
لعمرك ، يا أختاه ، ما في حياتنا
مراتب قَدَرٍ أو تفاوت أثمان
مظاهرها في الكون تبدو لناظر
كثيرة أشكالٍ عديدة ألوان
وأقنومها باقي من البدء واحداً
تجلّت بشهبٍ أم تجلّت بديدان
وما ناشد أسرارها ، وهو كشفها ،
سوى مشترٍ بالماء حرقه عطشان

تَرْنِيمَةُ الرِّيحِ

هَلّلي ، هَلّلي يا رِيح
وانسجي حول نومي وشاخ

من خريِر الغديِر
واهتزاز الأثير
واختلاج العبير
في دموع الصبح
هَلّلي ، هَلّلي يا رِيح

طوّقيني بنور النّجوم
وافتحني لي قصور الغيوم

واتركيني هناك
فوراء السماء
قد لحّت ملاك
باسطاً لي الجناح
هللي ، هللي يا رياح

ها أنا يا ملاك النعيم
يا رسول الإله الرحيم

ما عساك تشاء
من تراب وماء
فيهما ألف داء
ما لها من براح ؟
صفّقي ، صفّقي يا رياح !

ما أنا يا ملاكي السعيد
غير طيفٍ شريدٍ طريدٍ

علّمته الحنين
عاديّات السنين
فاستطاب الأنين
واسترقّ النواح
صفقي ، صفقي يا رياح !

أتردى رداء المنون
وأداوي الأسى بالظنون

كلّ فكري عناد
كلّ نومي سهاذ
كلّ دربي قتاد
كلّ عيشي كفاح
قهقهه ، قهقهه يا رياح !

كان لي في قديم الزمان
مرتج في رياض الجنان

بعته بالوعود
هل تراه يعود
لو نكثت العهود
والتمست السماح ؟
قهقهه ، قهقهه يا رياح !

يا ملاكي ألا من مآب
لطريد براه العذاب ؟

إن يعزّ الرجوع
أفلا من هجوع
لغريب الربوع
يا ملاك الصلاح ؟
ولولي ، ولولي يا رياح !

قل لماذا اعتراك الذبول ؟
هل تراك نظيري تجول

في رحاب الفضا
نادباً ما مضى
طالباً عوضاً
عن ديار الفلاح ؟
ولولي ، ولولي يا رياح !

عجباً بالدموع تجيب
فإذن أنت مثلي غريب

أنت مثلي طريد
هائم تستعيد
ذكر ماضٍ بعيد
كان حلماً وراخ
هومي ، هومي يا رياح !

أنت مثلي ضللت الطريق
فيك سرّ كسري عميق

لا تنح يا ملاك
ما دهاني دهاك
إن نكن للهلاك
فالهلاك ارتياح
هوّمي ، هوّمي يا رياح !

قم بنا فالرياح تكاذ
تجعل الدّمع منّا جماد

وتعال نئم
في سرير الندم
علّ ستر الظلم
في المنام يزاح
اسكتي ، اسكتي يا رياح

١٩٢٣

الهم

دفنتُ في الصبح همّي	وقوسه وسهامه
فللم الحزن عني	ضبابه وغمامه
وحطم القلب مني	قيوده ولجامه
وراح يعدو ويشدو	والحب يعدو أمامه
والكون في ناظره	سعادته وسلامه
والله يشرح فيه	جماله ونظامه
مضى النهار ولما	مدّ الظلام خيامه
أتاني القلب يشكو	والخوف يُملّي كلامه
يشكو وفي ناظره	لله ألف علامه
فقلت : « ويحك قلبي	هل عاودتك السآمه ؟ »
أجابني بخطاب	فهمت منه ختامه :
« أخاف أن ما دفنّا	يقوم يوم القيامة »

فَتَّشْ لِقَلْبِكَ

عجباً يروّعك الظلام
فتبيت مرتجف العظام
ويودّ قلبك لو ينام
في صدرك النوم الأخير
أفما لقلبك من جليس أو سميز ؟
والفجر إذ يبدو يراك
أبدأ بهم وارتباك
فيميل عنك إلى سواك
وسواك يفهم ما يقول
أفما لقلبك ترجمان أو رسول ؟

وتخوض ميدان الكفاح
وسط النهار بلا سلاح
فتخرّ من ألم الجراح
وتئنّ لكن لا مجيب
أفما لقلبك من مؤاسٍ أو طبيب ؟
وتجول وحدك في القفاز
وعليك سترٌ من غبار
كمسافر يبغي الديار
لكنّه فقد السبيل
أفما لقلبك في مسيرك من دليل ؟
أسفي عليك فلا الذهاب
سهلٌ لديك ولا الإياب
ستظلّ تخطّ في ضباب
حتى ينير لك الطريق
قلبٌ يكون لقلبك الواهي رفيق

١٩٢٣

العِراكُ

دخل الشيطانُ قلبي فرأى فيه ملاكُ
وبلمح الطرف ما بينهما اشتدَّ العراكُ
ذا يقول : البيت بيتي ! فيعيد القولَ ذاكُ
وأنا أشهد ما يجري ولا أبدي حراكُ
سائلاً ربي : « أفي الأكوان من ربِّ سواك
جبلت قلبي من البدء يدها ويداك ؟ »

* * *

وإلى اليوم أراني في شكوك وارتباكُ
لست أدري أرجيمُ في فؤادي أم ملاكُ

١٩٢٣

يَا بَحْرُ

أما تعبت ؟ عجيح	كُرَّ فَفَرَّ فَكُرَّ ؟
ماذا تروم ، وأنى	تسير لا تستقر ؟
فكأنما فيك مثلي	قلبان : عبدٌ وحُرٌّ
هذا يروم فراراً	من ذا وليس مفرّ
يا بحر ، يا بحر قل لي	هل فيك خيرٌ وشرٌّ ؟
هل في سكونك أمنٌ	وفي هياجك دعرٌ
أم في امتدادك يسرٌ	وفي انقباضك عسرٌ
وفي انخفاضك ذلٌّ	وفي ارتفاعك فخرٌ
وفي سكوتك حزنٌ	وفي هديرك بشرٌ
يا بحر ، يا بحر قل لي	هل فيك خيرٌ وشرٌّ ؟

وقفْتُ ، والليل داج ،	والبحر كَرَّ وفرَّ
فلم يجبني بحرٌ	ولم يجبني برٌ
وعندما شاب ليلى	وكحل الأفق فجرٌ
سمعتُ نهراً يغني :	« الكونُ طيٌّ ونشْرُ
في الناس خيرٌ وشرٌّ	في البحر مدٌّ وجزرٌ »

٢٩٢٢

بَيْنَ الْجَمَاهِمِ

حدّثني عن الحياة عسى أعطي فؤادي اللجوج عنها جوابا

* * *

حدّثني عن القلوب التي كانت قلوباً واليوم صارت ترابا
كيف كانت بالأمس سكرى ولا تحسب للموت في الحياة حسابا
نابضاتٍ حُبّاً وبغضاً وإيماناً وشكّاً وراجياتٍ ثوابا
ها أنا أَلَسُ التراب فلا أَلَسُ همّاً أو غبطةً أو عذابا
وأُصِيخُ إلى التراب فلا أَسْمَعُ شكوى أو لهفةً أو عتابا
أترينَ الأشواق صارت بروقاً ودموع الأحزان أضحت سحابا
وأئينَ القلوب أمسى رعوداً وأمانيتها استحالت ضبابا ؟
أم ترينَ التراب عادَ تراباً وسراب الآمال عاد سرايا ؟

* * *

حدثيني عن الحدود التي بالأمس كانت مذابحاً للجمال
تُنطقُ المؤمنين بالكفر والكفار بالسبح للقوي المتعالي
نتبارى بلا انقطاع إليها ونضحّي لها بأعلى الغوالي
كم سجدنا أمامها وابتهلنا وقرعنا صدورنا في الليالي
وحرقنا القلوب ممّا بخوراً ونظمنا العيون عقد لآلي
ها أتينا لنُترع الروح ممّا كان فيها لطرفنا من كمال
وغريب أن لا نرى حيث كانت غير دود يدبّ بين الرمال
ويح قلب يرى الخيال جمالاً ! ويح عقل يمحو جمال الخيال !

حدثيني عن نسمة جعلت آدم حياً وكان تراباً وماء
يا لها نسمة أرتنا بصيصاً في ظلام البقا فزدنا عماء
ما لبسنا الحياة حتى لبسنا في ثنايا ثوب الحياة الفناء
فغدونا إذا رجونا عزاء صار ذاك الرجاء فينا بلاء
ونسينا أنّا تراب فلا بالأرض نرضى ولا ننال السماء
نسمة الله أين ، أين استقرت بعد أن عادت الجسوم هباء ؟
إلى صدر خالق الكون آبت تحمل الهمّ والأسى والشقاء ؟
أم طوتها الأقدار لكن لحين ؟ أم هواء كانت فعادت هواء ؟

حدّثني عن الحياة لكي أعطي عني أمام نفسي حسابا
ففسى الخافق الذي ضمن صدري لا يزيد النيران فيه التهاوبا

١٩٢٤

الى M.D.B

أنا السرّ الذي استترا
بروحك منذ ما خطرا
ببال الكائن الأعلى
خيالُ العالم الأدنى
فصوّر من ثرى بشرا

أنا الصبح الذي ائلقا
بقلبك قبل أن خفقا
وقبل أن التظت شمس
وشعشع في السما بدر
وبرق في الدجى برقاً



أنا الدَّمْعُ الذي لمعا
بعينك عندما انقشعا
لأوّل مرّة عنها
ضبابُ الغيبِ والوسنِ
فذاقت روْحك الوجعا

أنا المهد الذي ضمّا
كيائنك قبلما تمّا
وقد فرشت لك الأقدار
فيه الورد والحسكا
وصفو البال والهَمّا

أنا الحَمَلُ الذي حملا
ذنوبك باسمأ جذلا
فما زلت به قدم
ولا يوماً شكا التعبا
أو الأثقال والمللا

أنا في ليلك القمر
أنا في صفوك الكدر
أنا في شذوك الندب
وفي تنواحك الشدو
أنا بزنادك الشرر

أنا في حظك الشكوى
أنا في تعسك النجوى
أنا الجلاّد والآسي
أنا الغرّار والهادي
أنا البلوى ، أنا السلوى

أنا في قلبك القبس
وفي أجفانك النعس
أنا في فكرك العجب
وفي أحلامك الرؤيا
وفي إصباحك الغلس

وأنت السرّ في سرّي
ومعنى العمر في عمري
وأنت اليأس في أملي
ومينا الأمن في وجلي
وأنت الخلّ في خمري

فهاتي يداً ، وهاك يدي
على رَغد ، على نكد
وقولي للأولى جهلوا :
معاً كنّا من الأزل
معاً نبقى إلى الأبد !

١٩٢٥

الان

غداً أرّدت هباتِ الناسِ للناسِ
وعن غناهم سأستغني بإفلاسي
وأستردّ رهوناً لي بذمتهم
فقد رهنت لهم فكري وإحساسي
ورحلت أتعرج في أسواق كسبهم
فما كسبت سوى هم ووسواس
وكم فتحتُ لهم قلبي فما لبثوا
أن نصّبوا بعلهم في قدس أقداسي

غداً أُعيد بقايا الطّين للطّين
وأُطلق الروح من سجن التخامين
وأترك الموت للموتى ومن وَلدوا
والخير والشرّ للدّنيا وللدين
وألبس العري درعاً لا تحطّمه
أيدي الملائك أو أيدي الشياطين
فلا تروّعني نار الجحيم ولا
مجالس الحور في الفردوس تغريني

غداً أجوز حدود السمع والبصر
فأدرك المبتدا المكنون في خبري
فلا كواكب إلا كان لي سُبلٌ
فيها ، ولا تربة إلا بها أثري
لي في القضاء قضاء والمنون منى
وفي مُلاحمة الأقدار لي قدري
غداً ؟.. ولا أمس لي حتى أقول غداً
فلتمحها «الآن» من نطقي ومن فكري

ما يلي
ترجمات نثرية لبعض
منظومات الشاعر
الانكليزية

نَدْبَةٌ رَأْسُ السَّنة

ماذا دهاكم يا صحابي
فرُحتم تَغْلون ، وترغون ، وتفورون ،
وتتسابقون إلى حيث لا تعلمون ،
وتتجاذبونني إلى حيث تتسابقون ؟
أكلّ ذلك لأنّ هذه الكريّة الهائمة في الفضاء
قد أكملت دورة من دوراتها حول الشمس ؟
ولكن ، ما شأنني مع الأرض أرضكم ،
والشمس شمسكم ،
وأنا ما برحت ولن أبرح
هوّى جائشاً

في خضمّ الوجود
الذي لا تحصره أرض ولا سماء ؟
أمالكم تليدها السنون ثم تخنقها السنون ،
وأفراحكم تستحمّ بالدمع وتدهن بالدم ،
وحبكم مقمّط أبداً بقُمُط الذعر والبغضاء
التي لا توشك أن تبلى حتى تتجدّد
فكيف لي أن أترنّح بما تترنّحون
وأملّي ما وُلد بعد ولن يولد ،
وفرحي بريء من الدمع ،
طاهر من البسمات ،
وحبي عريان كالصباح ؟

أحتاج إلى سراج من اتخذ كبد الليل مسكناً له ،
ومن لا يسلك في مسالك الخير والشر
التي تنتهي أبداً حيث تبتدئ ؟

أغمس شفّتيه في كوب من الخمر
من يطفئ أوامه من ينابيع ربّانية ؟

أم يطرب لرعشة الأوتار
مَن سكينته ترتعش ليل نهار
بأنغام أجرام
لله ما أقصصاها عن جرمكم هذا ؟
ألا أغرقوا بالخمر قلوبكم العطشى إلى النسيان
أما أنا فلن أغرق قلبي النشوان واليقظان .
ألا ليتكم تصمّون آذانكم
ولو لحظة عن هرجكم ومرجكم
وتفتحونها لولولة الأرض وعويل أبناء الأرض
فقد تشتاقون عندئذ ولادة جديدة
لا سنة جديدة.

١٩٢٥

صَرَفْتُ حَبِيبَتِي عَنِّي

صرفت حبيبتني عني وناشدتها الله
ألا تعود إليَّ
إلا من بعد أن تتقن الحبَّ

لكنَّها ما عتَّمت أن عادت
وأكبت بشفتيها على شفتيَّ
كأنها الرضيع الجائع يكبُّ على ثدي أمه
وعندما انتشت وتنهدت تنهدة الشهوة الظافرة
سلختُ فمها عن فمي وهمست في أذنها :
إليك عني يا يمامتي

لقد أتقنت تغذية ملذاتك المائتة ،
أما الحبّ فما تعلّمته بعد

وأطلت على الأرض أهلة حول بكامله
وإذا بحبيبتى تسترق خطاها إلى مخدعي
كأنها الحلم عند الفجر
وإذا بها تجثو عند قدمي
فتغسلهما بدمعها السخين
وتجففهما بأنفاس لهفتها المتأججة
وعندما ابتهلث عيناها إلى عيني
همست في أذنها :

انهضي ، انهضي يا يمامتي ، وإليك عني
لقد تعلّمت كيف تروّين أحزانك العطشى
أما الحبّ فما تعلّمته بعد

وانقضى الحول والحولان
من قبل أن عادت حبيبتى تقرع بابي ،
وفي يدها الواحدة مبخرة ،

وفي الأخرى شمعة مشعّلة
وما ان اجتازت العتبة
حتى أخذت تسجد لي وتمجدني
بصوت كلّ حنين وإيمان وورع
وعندما فرغت من عبادتها همست في أذنها :
اذهبي ، اذهبي بسلام يا يمامتي
لقد أتقنت تمجيد محاسنك الموهومة ،
أما الحبّ فما تعلّمته بعد

ومرّت دهور لم أرَ لحبيتي في خلالها وجهاً
فأيقنت أن المنيّة أدركتها
من فرط قسوتي ووفرة حبّها
ورحت أبحث عن مقرّها الأخير
إلى أن بلغت شاطئ اللاذاتية
ولذا بي أبصر حبّيتي هناك
غارقة في لجة من الأحلام
فدنوت منها بخفّة ، وبرقّة فائقة سألتها :
ما بالك وحدك على هذا الشاطئ المهجور ؟

فأجابتنني برقة فائقة :
أأكون وحده من أضاع ذاته في الحب ؟
إذ ذاك هتفت عالياً :
إلبي، إلبي يا حمامتي !
لقد آن وقت الطيران .

١٩٢٦

عهد قاطع

(إلى من تنوء بعبء الهموم)

ألا قرّ عيناً أيها القلب اللجوج ،
المرهق بالأحزان ،
عهداً قطعتُ بالآأ أضحك
حتى أذري منك أحزانك
نظير ما تُدري الحنطة من أحساكها
أمّا قبل ذلك فلن أضحك !

أيتها العينان الباكيتان بغير دموع
واللتان لا تعرفان الكرى ،
عهداً قطعتُ بالأناام
حتى أنفي منكما أشباح الهم والخوف
التي غشت ما فيكما من نور
وعلا متكما البكاء
أما قبل ذلك فلن أناام !
أيها الروح المتماوج أمس بالأنغام
والأخرس اليوم ،
عهداً قطعت بالأغني
حتى أعيدك قيثاراً موقعة الأوتار
شجيّة الرنة
تحت أصابع الحبّ الفنّان
أما قبل ذاك فلن أغني !
يا صورة الله الفنّانة
الضائعة اليوم في وادي الظلّ والخيرة
عهداً قطعت بالأاموت
حتى أمزّق عنك أستارك

وأردك مثلما كنتِ :
فتنة عريانة تحت الشمس .
لكنني إذ ذاك لن أموت !

١٩٢٨

السِّبَاقُ

لا تقل يا أخي قد خسرت السِّبَاق
أجل ، إنني لأخفّ منك قدماً وأوسع خطًى
إلا أن سبيلك وسبيلي أبداً يتلاقيان
في خواء الزمان حيث لا سُبل ولا شِعاب

سريعة هي الريح
ولكنّ التسيّم الناعس الذي يلدها ،
ثم يهجع في أحضانها ،
ليس بأبطأ منها

والعصفورة المرفرفة فوق وكرها ،
مهما تمادت في الطيران ،
لا تستطيع أن تسبق الفراخ في الوكر
والنهر الذي يكرّ من ذروة جبل
معربداً مزبداً
ليس بأسبق إلى الأعماق السحيقة الساكنة
من دمة أو من قطرة ندى

قم بنا يا أخي ، قم بنا !
فالنهار ما يزال فتياً
ونحن ما نزال في المضمار
وليس لنا أن نتساءل
عمّن هو السابق واللاحق
إلاّ من بعد أن يتقلّص المكان
وينصرم الزمان

والى أن يكون ذلك هات دموعك
لنغرق فيها ضحكى

طارحين عَنَّا أثقالها القتالة للروح
ولنَسِزْ كُلَّ فِي سبِيلِهِ
غِيرَ آبِهِينَ بِالْهَازِجِينَ
وَلَا بِالسَّاحِرِينَ
الْبَارِكِينَ عَلَى جَوَانِبِ الطَّرِيقِ .

اللقاء

يا طول ما فصلتنا غمار ونجاد !
يا طول ما ابتهلنا من أجل هذه الساعة
التي ستجمع قلبين شيتين
لينبضا بنبضة واحدة ،
وروحين أخرسهما البين
ليزقزقا كروح واحد !

وها هي تلك الساعة - ها هي
ساعة النبضات الثائرة ،
والتنهيدات الخرساء ،

والشفاه المرتعشة بكلمات

تكاد تكون بذاءةً

إزاء الكلمات الواثبة من العينين

بغير استئذان

ها نحن ندوب من جديد

في عناق طويل

ونحوك أحلاماً لا تشحب

من خيوط حبّ لا يشيخ ،

وآذاننا صمّاء دون زحف الثواني الحثيث ،

وأعيننا عمياء عن كل ما في الفضاء

ها جراح الأمس تتفتح عن أوجاع

نضجت اليوم فتحوّلت بلسماً وهناء ،

والحقول التي بذرنا فيها من قبل

حسراتنا

نحصد منها اليوم أفراحاً

لا عهد للأرض بأمثالها

ولكن ... واهاً لك أيها القلب
الجامح ، الخؤون ، المرهق والمرهق !
ما بالك تُسرّر لي أمنية جديدة
فتشتهي لو أنّ ما كان بيننا وبينها
من نجاد وغمار
لم ينطو قطّ ولن ينطوي
كيما أُقيم وإياك في سكير سرمديّ
بانتظارها ؟ !

الشرارُ

ناري تشبّ وتزفر ،
والشرار السجين في الجذوع والقشور
يتوأب إلى فوق
فلا تلمحه العين
حتى تلقه ظلمة الليل في ثنايا جلايبها .
وأنا - سجين الثواني والدقائق ،
والشرارة الدفينة في حمأة اللحم والدم -
أرقب رقصات العجيبة السريّة
وكأنني في عالم مسحور

إيه أفعدة الغابات الظليلة !
ألعلّك في وثباتك الملتهبة
إنما تثبين من سبات إلى سبات ؟
أتذكرين أين كنتِ هاجعة منذ اللحظة ،
أم تعرفين أين ستهجعين بعد لحظة ؟
أليس في يقظاتك النيرة القصيرة المدى
ولا شبه أشباح
لما فرشته يد الحياة الحنون حول مضاجعك ؟
ألا ذكر فيها للجذور
التي حتمت على نفسها التنسك
في ظلمة الأرض الأبدية
كيما تُرضع أفنانها اللدنة عصير الحياة
وتنهض بها إلى عالم النور الجميل
والهواء الطلق !
ألا رسم فيها للغصون المتطالّة إلى السماء ،
وللبراعم المتدثّرة بشعاع القمر ،
وللخيوط الذهبية
تغزلها الشمس بمغزلها العجيب ،

وللرياح الهائمة
والنسمات الثملة بالحبّ
المغمى عليها عند الهجيرة
في أحضان الشوح والسنديان ،
وللسموات الباكية ،
والسواقي المقهقهة ،
والطيور التي كانت تترع أحلامك
أنغاماً شجيّة ؟

إيه شويهبات تشعّ في جلدٍ
ما طاله الشّعر ولا الفنّ ،
ماذا الذي تتغنّين به
إذ تصعدين سلّم النار
إلى قمم غير هذي القمم
وغابات غير هذي الغابات ؟
أسيّفُ نعمة أنا
فكّك ما كان بينك من أواصر المحبة
وبعثر شملك في الفضاء ،

لذلك تنوحين وتنديين ؟
أم أنا سيف رحمة
أطلقك من سجنك الطويل ،
لذلك تتهللين وتزغردين ؟

* * *

ناري تميد وتلهث وتلملم ألسنتها ،
والرماد يختم شفيتها على مهل .
والذي أخفاه عني تحت خاتمته
يأبى عليّ كشفه الليلُ الغيور .

نَهْرٌ يُغْنِي

أَرْضِعِ الشَّجَبَ فَتَرْضِعَنِي
أَبْدَأْ أَبْدَأْ

أُتْرِعِ الْبَحَرَ فَيُتْرِعَنِي
أَبْدَأْ أَبْدَأْ

أَبْطَأْ الْأَشْيَاءَ أَسْرِعْهَا
أَبْدَأْ أَبْدَأْ

أَوْضِعِ الْأَشْيَاءَ أَرْفَعْهَا
أَبْدَأْ أَبْدَأْ

أَبْعِدِ الْأَشْيَاءَ أَقْرِبْهَا
أَبْدَأْ أَبْدَأْ

أَلِينِ الْأَشْيَاءَ أَصْلِبْهَا
أَبْدَأْ أَبْدَأْ

* * *

إِنْ شِئْتَ خَيْرَ دَلِيلٍ
فَسِرْ بِغَيْرِ دَلِيلٍ
أَوْ شِئْتَ أَصْفَى خَلِيلٍ
فَعِشْ بِغَيْرِ خَلِيلٍ

أَتَيْتُ الْبَحْرَ فِي مَدَّةٍ
وَجِئْتُ الْبَحْرَ فِي جِزْرَةٍ
فَلَا بِالْمَدِّ أَدْنَانِي
وَلَا بِالْجِزْرِ أَقْصَانِي
فَقُلْتُ وَرَاقَهُ قَوْلِي :
أَنَا وَالْبَحْرُ سَيِّانٍ

١٩٢٨

الاكْتِمَالُ

على عُصَيْنٍ متوَحَّد
من شُجيرة متوحدة
وَرَيْقة متوحدة
غارقة في يَمِّ أحلامها

بينما السماء من فوقها صفيحة هائلة دكناء
تتلاطم في قلبها الأسود هوج الرياح
ناسجةً من سواده كفنًا للأرض فائق البياض .

أثرابها ، جيرانها ، أصحابها
تساقطوا من حولها من أمد بعيد
وواحد منهم لم يرجع

ليخبرها عن العالم السفلي .
 حتى البلابل التي كانت ترثم
 حول سريرها صباح مساء
 تحوّلت غرباناً
 تنعب فوق رأسها نعيب السوء
 لكنّها لا حزن في قلبها
 ولا فرح
 فهي تميل بطمأنينة
 مع الغصن أنّى مال
 عارفة أنّ كلّ أغديتها
 قد أصبحت أمسية
 فعلى وجهها المتجدد الليل -
 مثلما في قلبها المستيقظ الأمين -
 قد تعانقت الفصول كلّها .

لِيَعْبُرُوا !

هذي القلوب وهذي العقولُ
الدارجة أبدأً على المطاط والحديدُ
إلى حيث لا يعلم إلا الله ،
وهاته الأقدام المتسارعة أبدأً
تحت لهيب سياط الشهوات الجامحة
من فحّ إلى فحّ ، ومن شرك إلى شرك -
كيف لنا يا نفس أن نمأشئها ؟
إنها لتبتغي محبّات بغير عدّ
حين لا نبتغي نحن ولا محبّة
فتنحّي من طريقها
ودعيها تعبر.

ألم نطوّر الزمان كلّهُ في الآن
ونحشّر المكان كلّهُ في ههنا ؟
ألم يتبوّل الموت والحياة من جبينك
عرشاً واحداً ؟
أليسّا على عرشهما
في عناق حبّ سرمديّ ؟
فماذا عسانا نشتهي بعد ،
ومّ نجزع ؟
لذاك إذا ما سمعت الجماهير المتماوجة
قارعةً طبولها ،
نافخة في زموورها ،
طالبة بإلحاح حقّ المرور ،
تنحّي ساكتة عن طريقها ،
ودعيها تعبر !

أفيقي

أفيقي يا حبيتي !
هوذا الليل يتعرّى على التلألؤ
وفي ثنايا جلالييه المحوكة من الأحلام
ثنية يهجع فيها ذلك الحلم النوراني
الذي جعلنا أسنن من كلّ أمس
وأفتى من كل غد

هوذا الفجر يترع من جديد
أجران الصباح بالنور
حيث لا مندوحة لكل ليل
من تعמיד ما وَلَدَ من أسرار

أفي ساعديك يا حبيبي قوة
لاقتبال الحلم العتيد عمده ؟
أفي ثديك يا حبيبي لبن
لشفتيه الطاهرتين ؟
أتعلمين يا حبيبي أنه ساعة تفطمينه
يعود خلصة إلى تلافيف الظلمة
ولا يرجع إلى الأبد ؟
والأ - فنامي يا حبيبي
حتى انبلاج فجر غير هذا الفجر .

الْحَائِكُ

أنا هو المنوال والخيط والحائك
وأنا أحوك نفسي من الأموات - الأحياء ،
أمواتِ الأمس ، واليوم
والأيام التي ما وُلدت بعد .
والذي أحوكه بيدي
لا تستطيع قدرة أن تحلّه
حتى ولا يدي

تلك هي حكايتي يا عابر السبيل .
فاضرع معي
كيما تكون المحبّة قائدة لمكوّكك ،
مثلما هي قائدة لمكوّكي ،

في هذه اللحظة التي أراك فيها على منوالي
صورةً سرّيةً كالقَدَر
وسراً سرمدياً كاللَّهِ .
والآن سِر في سبيلك .
ولا تقل لي وداعاً !
فأنا لا أقول وداعاً لأحد
أنا ماضٍ في حياكتي .

١٩٢٩

يَا عَقْلُ !

يا عقل خلّ عنك إرشادي
فالיום أذني لا تعي ما تقول .
أما وقد اهتديت إلى الكأس -
كأسي -

والى الخمرة البكر التي فتشت عنها دهوراً
فلن تستطيع فيما بعد
أن تختم بخاتمك
على شفتي العطشتين ،
ولا أن تغلّ بأغلاك
يديّ الجائعتين
ولن أستطيع بعد اليوم
أن أخدع قلباً لفحه العطش

بضبابك الذي لا ندى فيه .
أَمِنْ الإِثْمِ أَنْ أَدْعُو هَذِهِ الْكَأْسَ كَأْسِي ؟
إِذَا دَعَنِي أُمْتُ أَثِيمًا
فَأَنَا مَا لَمَسْتُهَا لَمْسًا
إِلَّا قَفَرْتُ أَبْدِيَاتٍ ،
وَعَوَالِمَ شَاسِعَاتٍ .
وَلَا تَنْشَقَّتْ عَيْبِيرَهَا
إِلَّا وَجَدْتَنِي فِي قَلْبِ الْجَمَالِ
مَلْتَهَبًا بِلَهْيِيهِ .
وَلَا سَكُرَتْ بِخَمَرِهَا
إِلَّا اِمْتَزَجَتْ بِعَدَمِ الْفَنَاءِ
وَأَحْسَنْتَنِي الْكَلَّ فِي الْكَلِّ .

يَا وَحْدَتِي

إيه وحدتي ،
ما إخالها تستطيع أن تجوب سمواتك
التي لا شمس فيها ولا أقمار ،
وأن تطأ صحاريك
التي لا دروب فيها ،
وأن تمخر بحورك
التي لا شواطئ لها ،
وأن تسير أغوارك
التي بغير قرار ،
وأن تتسلق قممك القاسية الجرداء ،
وأن ترقص بقدميها المجنحتين
على طحلبك الزلّق .

ولا إخال شفتيها المعسولتين ثقويان
حتى على لمس كأسك
الملائى علقماً بكرأ ،
ولا قلبها البتولَ قادراً أن يسمع
صراخ أحلامك المتشرّدة
كنتُ وإياك وحيدَين يا وحدتي
ووحيدَين سنبقى إلى آخر الدهر
ولكن ، لله ما أفسحنا اليوم
يا وحدتي
وما أغنانا !
فنحن بها وفيها ومعها
نصافح الأزل بيمنانا
والأبد بيسراننا .

الجُوع

أَلَقْتُ الْأَقْدَارَ فِي قَلْبِي حَبَّةً
وَسُرْعَانَ مَا اشْتَبَكَتْ جُذُورَهَا وَتَمَادَتْ ،
وَضَخَمَتْ سَاقَهَا وَتَعَالَتْ
وَالْتَفَّتْ أَغْصَانَهَا وَتَرَامَتْ
إِلَى أَنْ حَجَبَتْ عَنِّي الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ
وَهَا هِيَ الْيَوْمَ مَثْقَلَةٌ بِثَمَارِ
مَا إِخَالَ الْمَلَائِكَةُ يَتَذَوَّقُونَ مِثْلَهَا .
وَأَنَا الَّذِي يَغْذِيهَا بِعَصِيرِ قَلْبِهِ -
وَلِنْ أَكُ جَائِعاً حَتَّى التَّلَفَ -
لَسْتُ أَجْرُو أَنْ أَمُدَّ يَدِي
إِلَى ثَمَرَةٍ مِنْ ثَمَرَاتِهَا .

همس الجفون

٧	اغمض جفونك تبصر
٨	النهر المتجمد
١٢	أخي
١٤	من أنت يا نفسي
٢٠	حبلى التمني
٢٤	من سفر الزمان
٢٦	لو تدرك الأشواك
٣٣	ابتهالات
٣٨	صدى الأجراس
٤٤	الطريق
٤٥	أوراق الخريف

٤٨	تخدير أفكار
٥٠	التائه
٥٣	آفاق القلب
٦٢	الخير والشر
٦٣	أنشودة
٦٦	قبور تدور
٦٩	لما رأيت الناس
٧١	الطمأنينة
٧٣	يا رفيقي
٧٩	ذمك الأيام
٨١	إلى دودة
٨٥	ترنيمة الرياح
٩١	الهم
٩٢	فتش لقلبك
٩٤	العراك
٩٥	يا بحر
٩٧	بين الجماجم
١٠٠	M.D.B. إلى

١٠٦	الآن
١١١	ندبة رأس السنة
١١٤	صرفت حببتي عني
١١٨	عهد قاطع
١٢١	السباق
١٢٤	اللقاء
١٢٧	الشرار
١٣١	نهر يغني
١٣٣	الاكتمال
١٣٥	ليعبروا
١٣٧	أفيقي
١٣٩	الحائك
١٤١	يا عقل
١٤٣	يا وحدتي
١٤٥	الجوع

للمؤلف

يا ابن آدم	الآباء والبنون
في الغربال الجديد	الغربال
أحاديث مع الصحافة	المراحل
نجوى الغروب	جبران خليل جبران
صوت العالم	زاد المعاد
النور والديجور	كان ما كان
مذكرات الأرقش	همس الجفون
من وحي المسيح	البيادر
ومضات (شذور وأمثال)	كرم على درب
كتاب مرداد	الأوثان
النبي (ترجمة)	لقاء
في مهب الريح	أكابر
دروب	أبعد من موسكو ومن واشنطن
	أبو بطة

The Book of Mirdad

Kahlil Gibran

Memoirs of a Vagrant Soul

Till We Meet and Twelve Other Stories

سبعون (٣ أجزاء)

اليوم الأخير

هوامش

أيوب

هَمْسُ الْجُفُونِ

... إذا كان للأُمَم الحَيَّة أن تَزدهي بعباقرتها وأن تباهي بفلاسفتها وشعرائها وكتّابها فقد حقّ لنا نحن أبناء الأُمّة العربيّة أن نضَع ميخائيل نعيمة في رأس مفاخرنا الروحيّة والأدبيّة في هذا العصر.

ميخائيل نعيمة مدرسة انسانية فريدة، ومذهب ناصع من أنبل مذاهب الفكر الإنساني، العربي والعالمي.

وديوان همس الجفون كان فاتحة الشعر العربي الحديث مثلما كان «الغريبال» فاتحة النقد الأدبي الحديث. كلاهما شقٌّ في ميدان دروب التجديد في إبداع الأدب ودراسته.

إن قصائد همس الجفون أناشيد تأمل عميق ومعاناة إنسانية ترقى إلى مستوى الكشف الرويوي في أبعاد الحياة الفرديّة والاجتماعية والكونية، فضلاً عن شفافيتها التعبيريّة واسلوبيتها الجماليّة الرائعة.

لقد كان ميخائيل نعيمة رائداً في كل ما أبدعت ريشته وشاعراً مرهفاً في كل ما كتب وما قال.

إن ميخائيل نعيمة يعطي بلا حساب. وحسب الناس أن تأخذ منه، إذا كان في الناس من يحسن الأخذ.

ISBN 9953-26-038-9



9 789953 260389